انعكاسات الحرب الأهلية الاسبانية (1936-39) على منطقة الشلف خلال الفترة الاستعمارية.

أ. العربي بلعزوز*

شهدت إسبانيا خلال الفترة الممتدة من منتصف شهر جويلية 1936 الى نهاية مارس 1939 حربا أهلية مدمرة بين العناصر الجمهورية اليساريين والعناصر الوطنية بقيادة الجنرال فرانكو،كلفت الملايير من الخسائر المادية شملت المنشآت الاقتصادية، البني التحتية المختلفة والمباني التي تضرر منها 500 ألف مسكن بين مدمر نهائيا ومخرب علاوة على 173 مدينة شبه مدمرة بالإضافة إلى خسائر بشرية تمثلت في مايقارب 800 ألف من الضحايا و300 ألف آخرون غادروا البلاد من دون رجعة.

انتهت تلك المأساة بانهزام الجمهوريين اليساريين المدعمين من قبل الاتحاد السوفياتي وقوات الألوية الدولية وانتصار قوات الوطنيين بقيادة الجنرال فرانكو بمساندة قوية من قبل ألمانيا النازية وإيطاليا الفاشية طيلة نحو ثلاث سنوات. وعلى إثرها تحتم على مئات الآلاف من هؤلاء الجمهوريين المنهزمين مغادرة بلادهم خوفا من المطاردة والسجون بعد أن رفض القائد المنتصر الجنرال فرانكو إصدار قرار بالعفو الشامل.

اتجه القسم الأكبر من هؤلاء اللاجئين إلى فرنسا عبر الحدود الشرقية للبلاد في حين اتجه عدد آخر نحو الجنوب، وبما أن القسم الشمالي من المغرب كان خاضعا لقوات فرانكو منذ 16 جويلية 1936م- وهو بذلك ممنوع عليهم- التحق عدة آلاف من هؤلاء بالموانئ الجزائرية ومنها ميناء تنس بمقاطعة الشلف (أورليانفيل)[1].

كما تجب الإشارة إلى أن اختيار هؤلاء اللاجئين الاسبان للجزائر بصفة عامة ومنها ميناء تنس للرسو لم يكن له علاقة بالمشاركة الهزيلة لبعض الجزائريين من الأهالي اليساريي التوجه في صفوف الجمهوريين الاسبان إبان الحرب الأهلية،حيث لم تذكر الوثائق الإدارية المعنية الا حالة واحدة لأحد الرعايا من الأهالي حسب الرسالة رقم 171 المؤرخة في 12 يناير 1939 المرسلة

*- أستاذ مساعد قسم أ في التاريخ المعاصر- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية- جامعة حسيبة بن بوعلي- الشلف.

من قبل حاكم أورليانفيل الى والي العاصمة بخصوص وصول احد الرعايا الأهالي إلى ميناء تنس قادما من اسبانيا من دون إشارة إلى طبيعة نشاط الشخص المعني في اسبانيا [2]، وإنما لعوامل أخرى جغرافية بالدرجة الأولى بحكم قرب السواحل الجزائرية من نظيرتها الاسبانية ولسبب تاريخي محض يتمثل في تواجد جالية اسبانية معتبرة في الجزائر المستعمرة توافدت على الجزائر منذ سنوات الاحتلال الأولى، بل قيل عنهم أنهم جاؤوا في حقائب الجيش الفرنسي المحتل.

1- ظروف وصول اللاجئين إلى أورليانفيل: لقد تحكم تقدم جيوش الوطنيين باتجاه المدن الاسبانية الشرقية الخاضعة وقتئذ للجمهوريين في حركة لجوء هؤلاء خارج إسبانيا من حيث الزمن، وأهم الموانئ التي انطلق منها هؤلاء: أليكونت، فالونس وقرطاجنة، مستعملين تارة سفن شحن إنجليزية أو فرنسية وتارة أخرى قوارب صيد مختلفة الأحجام حاملين في حالات لوثائق رسمية وفي حالات أخرى توافدوا على السواحل الجزائرية من دون تراخيص ولا موافقة السلطات المعنية.

لم تقم الحكومة الفرنسية بتحضير أدنى الشروط الأساسية لاستقبال اللاجئين الأسبان على الأراضي الفرنسية، وعلى ارض الجزائر رغم توفر معطيات تؤكد توافد كم كبير من اللاجئين الاسبان إليهما، مصدرها السفير الفرنسي لدى مدريد وكذا المراقبين العسكريين على طول الحدود بين البلدين، وذلك منذ 1937 إلى درجة انه عندما طلبت الجمهورية الاسبانية من فرنسا استقبال 150 ألف من الأطفال والنساء والشيوخ على أراضيها بتاريخ 26 يناير 1939 -أي قبل ثلاثة أيام من سقوط برشلونة بيد الوطنيين-[2]

اقترح وزير الخارجية الفرنسي(جورج بوني) تخصيص منطقة محايدة على الأراضي الاسبانية المتاخمة للحدود الفرنسية لذلك الغرض إلا أن الرفض الثنائي لهذا الاقتراح من قبل الجمهوريين والوطنيين وضع فرنسا في موقف حرج، وأظهر بأن هذه الحكومة وحتى ذلك الحين كانت تتبع سياسة النعامة في تعاملها مع هذا الوضع المأسوي والخطير[3].

كما أن فرنسا منذ البداية لم تكن ترغب في استقبال هؤلاء اللاجئين، حيث تشير الوثائق التاريخية إلى ذلك، ففي برقية رسمية مستعجلة من وزارة الداخلية تحمل رقم 1940/E بتاريخ 17 افريل 1939 موجهة الى الحاكم العام بالجزائر وإلى كل الولاة في فرنسا والجزائر بمنع بمختلف الوسائل حملة اللجنة الفرنسية لمساعدة اللاجئين الاسبان تحت عنوان: حق اللجوء الى اللاجئين الاسبان.

ولكن بعد أن وضعت فرنسا أمام الامر الواقع لم تجد من وسيلة سوى من استقبال هؤلاء اللاجئين ولكن في ظروف غالبا ما كانت غير انسانية[4].

وعندما وضعت تلك السلطات أمام الأمر الواقع استقبلتهم الجمهورية والدولة الفرنسية مثل المجرمين وخاصة في وهران التي كان رئيس بلديتها (غابريال لومبار) في خضم احتفالاته بانتصار الجنرال فرانكو على خصومه السياسيين. علما بأن السلطات الفرنسية ممثلة في وزير الخارجية تلقت رسالة من عصبة الأمم في جنيف بتاريخ 9 سبتمبر 1937 تذكره فيها بضرورة رعاية وحماية اللاجئين حسب القوانين الدولية لعصبة الأمم، والتي أرسلت إلى وزير الداخلية الفرنسي والتي أرسلها بدوره إلى الحاكم العام بالجزائر بتاريخ 18 نوفمبر 1937[5].

الحاكم العام لم تكتف السلطات الفرنسية في الجزائر باستقبالها غير اللائق لهؤلاء اللاجئين بل في حالات أخرى لجأت إلى طردهم من البلاد ورفض استقبالهم وذلك حينما أصدرت أمرا بتحويل 4150 من اللاجئين الاسبان إلى وجهة أخرى قدموا إلى الجزائر على متن 12 سفينة تابعة لأسطول قوات الجمهوريين[6].

تشير الصفحة الرابعة من التقرير... بأنه تشكلت عدة لجان للنجدة بمدينة أوريانفيل وتنس على إثر وصول عدد كبير من الأطفال والنساء للتخفيف من بؤس وتعاسة هؤلاء اللاجئين، ويبدو أن ذلك لم يكن بدافع انساني صرف لأن التقرير يشير إلى كون هؤلاء المتطوعين من المعمرين كانوا من اليساريين. بدليل أن هؤلاء المنخرطين وضعوا على رئاسة لجنة أورليانفيل رئيس بلدية أورليانفيل والمستشار العام RENCUREL المعروف بمواقفه الراديكالية.

كما يشير ذات التقرير الى استقبال تلك اللجنة بالخصوص إلى مساعدات مختلفة من جمعيات وخواص من كل أرجاء محافظة الجزائر، كما أن سكان كارنو من الأوربيين كانوا جد كرماء على اللاجئين الاسبان- ولو أن اللاجئ ميقال مارتيناز لوباز الذي كان في مخيم كارنو بمعية أمه وأخته قبل ان يلتحق بهم الأب الذي كان في مخيم أورليانفيل بأن الأهالي مقارنة بالأوربيين كانوا أكثر كرما عليهم رغم فقرهم من الأوربيين رغم امكانياتهم.

أما السلطات الرسمية الفرنسية حسب الرسائل المتبادلة بين الاسلطات المعنية في الجزائر والسلطة المركزية في باريس فلا تشير الا الى اللاجئين الاسبان من الفرنسيين حيث تشير رسالة رقم 4436 المؤرخة في 15 أفريل 1938 الموجهة من والي وهران اتلى وزير الصحة الفرنسي

يعلمه فيها بأنه خصص مبلغ 10295 فرنك لفائدة 45 لاجئ فرنسي قادمين نت اسبانيا، كما تشير رسالة أخرى تحت رقم 2987 بتاريخ 13 مارس 1939 تعلم بان ولاية الجزائر بأنها خصصت مبلغ 19880 فرنك لمصلحة اللاجئين الفرنسيين القادمين من اسبانيا، ورسائل أخرى كثيرة في ذات الموضوع إلا انها لم تشر جميعها الى اللاجئين الاسبان القادمين من إسبانيا .[7]

ومن أشهر السفن التي استعملها اللاجئون الاسبان في إجتياز البحر المتوسط باتجاه الموانئ الجزائرية:

رونوين Ronwyn: وهي سفينة إنجليزية ذات حمولة متوسطة انطلقت من اليكانت في 13 مارس 1939 نحو ميناء وهران وعلى متنها 646 شخص(299 رجال 197 امرأة و150 طفل) رغم أن الرصيف كان غاصا بآلاف الأشخاص الراغبين في اللجوء.

انطلقت السفينة ليلا ودون مصابيح خوفا من القصف الجوي، وفي اليوم الموالي بعد الزوال وصلت إلى ميناء وهران، حيث أرغمت على البقاء خارج الميناء مما أثر سلبا على صحة الركاب بسبب رداءة الجو، كما وضعت تحت الحراسة لمنع نزول الركاب. بعد حجز جوازات السفر وجهت السفينة إلى ميناء تنس الذي وصلت إليه يوم 15 مارس، حيث أنزل الأطفال والنساء وقدمت لهم الإسعافات الصحية واتخذت إجراءات وقائية من خلال تطعيم الجميع ثم وزعت عليهم المئونة وانطلقوا على متن حافلات باتجاه مدينة Carnot (العبا دية حاليا) على بعد 85 كلم جنوبا.

صعد طاقم صحي إلى السفينة لفحص وتطعيم الرجال اللذين بقوا على متنها بعدها شكلت أفواج من 12 فرد ثم نقلوا على متن ثلاث شاحنات مقطورة إلى مدينة Orléansville (الشلف حاليا) ليلا على بعد 53 كلم حيث وضعوا في ثكنة برتزان القديمة وسط المدينة. ظروف الاستقبال والمعاملة في تنس كانت أحسن بكثير منها في وهران باعتراف من ركاب السفينة. وكان من بين اللاجئين الاسبان في السفينة 6 فرنسيين، بلجيكي، ألمانيان، 3 أرجنتينيين إضافة إلى ايطالي ويوناني كما كان ضمن الركاب نائبين، طبيب وطبيب أسنان[8].

– Stangor: هي سفينة انجليزية [9] وصلت إلى ميناء تنس (حسب التقرير رقم 4/R.E بتاريخ 18 مارس 1939 المرسل من قبل نائب والي منطقة أورليانفيل إلى والي العاصمة يعلمه فيه بوصول السفينة الانجليزية إلى ميناء تنس بتاريخ 17 مارس وعلى متنها 95 لاجئ إسباني

قادمين من ميناء فالانس الاسباني يتوزعون كما يلي: (42 رجل 35 امرأة و18 طفل:7 أطفال و11 فتاة) بعد أن مروا عبر ميناء وهران.

بالإضافة إلى قارب وصل إلى شاطئ القلتة إلى الغرب من مدينة تنس بتاريخ 30 مارس قادما من ميناء سان بول باليكانت ولم تكن لديهم اية أجهزة إبحار ولذلك استغرق سفرهم 36 ساعة كاملة مما يفسر حالتهم الصحية المتدهورة جدا، وكان أول سؤال لهم هل هم في إيطاليا أم في القسم الاسباني من المغرب، وكم كانت فرحتهم كبيرة حينما علموا بأنهم بالجزائر. كان على متن ذلك المركب الصغير 94 شخصا [10] (6 نساء، 3 أطفال و85 رجلا منهم 70 من الميليشيات قدموا مباشرة من جبهة مدريد من بينهم را ئد معين من قبل الجنرال مياجا نفسه) [11]. وحسب التقرير رقم 9 من نائب والي أورليانفيل إلى والي العاصمة بتاريخ 3 أفريل 1939حيث يعلمه بأن هؤلاء اللاجئين أسعفوا من قبل سكان القلتة بعد عطب أصاب محرك مركبهم، وبسبب رداءة الأحوال الجوية تم إسعافهم على إمتداد عدة ساعات من منتصف الليل إلى الساعة الرابعة صباحا، ولقد تم تجميع الجميع بمستودع بالبلدية حيث تم إطعامهم وإسعافهم، وفي الصباح تم نقلهم إلى مدينة تنس ومنها إلى مدينة أورليانفيل[12].

إن الحاكم العام للجزائر ووالي وهران بالخصوص لم يكونا محضرين لاستقبال اللاجئين الاسبان،كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ولذلك خصصت أماكن لاستقبالهم في عجالة كالسجن القديم بوهران قبل أن تفتح مراكز في Orléansville (الشلف) المدينة، وفي مدينة Carnot (العبادية حاليا) على بعد 30 كلم إلى الشرق من عاصمة الولاية الشلف في مارس 1939.

أقيمت في محافظة الجزائر مراكز أخرى كمركز Morand (بوغاري) ومركز Suzzoni (بوغار) وكلاهما بالمدية حيث كان بمخيم بوغاري بمحاذاة جبال الونشريس الذي كان يضم 3000 لاجئ في ماي 1939 أضيف إليهم 2000 آخرون في نوفمبر.

بالإضافة إلى مركز رابع ببرج بني هندل ب Orléansville (الشلف) على الحدود الجنوبية للولاية بالقرب من جبال الونشريس وكان مخصصا للنساء والأطفال وأقيم في 5 ماي، علاوة على مراكز أخرى كالجلفة وبشارو جنان بورزق في الجنوب[13].

التركيبة الاجتماعية للاجئين الاسبان الى مدينة أورليانفيل :

نظرا للعدد الكبير من النساء والاطفال القادمين الى المنطقة، ونظرا لقلة الوثائق التاريخية فإن هؤلاء اللاجئين الذين قدموا إلى تنس كانوا في معظمهم من عناصر غير متورطة في مسائل ومع ذلك حمل التقرير رقم 4 السالف الذكر معطيات عن التركيبة الاجتماعية لعينة من هؤلاء اللاجئين شملت 45 حالة .

جدول من انجاز الباحث انطلاقا من وثائق أرشيفية من أرشيف ماوراء البحار بآكس أون بروفانس.

المهنة	العدد	المهنة	العدد
مفتش تعليم ابتدائي	1	موظف بالبريد	1
صحافي	1	عون شرطة	1
ظالب	5	قبطان بحار	1
طبيب	1	ممثل تجاري	5
طبيب أسنان	1	خباز	1
نواب بالبرلمان	3	حداد	1
صيدلي	1	حلاق	2
قاضي	1	خياط	1
صحافي	2	عامل بالخزف	2
محامي	2	ميكانيكي	4
مدير مدرسة	3	سائق	1
موظف بالبلدية	1	فلاح	
موظف إداري			
ضابط بالجيش(رائد)			

ماذا عن الوضعية المادية لهؤلاء اللاجئين على العموم ؟

انطلاقا من الجدول الذي لا يمثل الا جزءا من لاجئي محافظة أورليانفيل فقط، وبالنظر الى أن هؤلاء اللاجئين كانوا من اليساريين ومن الطبقة العمالية في الغالب إلا أن التقرير سالف الذكر يشير في صفحتة الخامسة إلى أن المبلغ الذي كان بحوزة هؤلاء الوافدين هو 560000 بيسيتا صادرة عن الحكومة الجمهورية ذات القيمة الشبه منعدمة مقارنة بالفرنك (100 بيسيتا يعادلها1 فرنك فرنسي، في حين أن البيسيتا التي أصدرها الجنرال فرانكو1 بيسيتا تعادل 1.35 فرنك فرنسي، وهذا ما ساهم في تعاظم بؤس هؤلاء اللاجئين الجمهوريين.

وتشير في هذا الصدد رسالة تحمل رقم 233/R.E بتاريخ 16 أفريل 1939 من نائب الوالي بأورليانفيل إلى والي الجزائر يعلمه فيها بان هناك عدة فتيات ونسوة من مخيم كارنو تطوعن للعمل كخادمات لدى عائلات من كارنو وأورليانفل مما سيمكنهم من إكتساب بعض المداخيل خاصة وأن المنطقة تشهد نقصا في خادمات المنازل.

وفي إستجواب خضع له قائد السفينة ستانقور حول الحالة المادية للاجئين قال إن قسما منهم أغنياء أو لديهم عائلات وأصدقاء في إسبانيا بإمكانهم إرسال لهم أموال[14].

2-الحياة داخل المخيمات 1939-1943:

إن توزيع اللاجئين على المخيمات كان في البداية يخضع لتقسيم حسب الجنس بحيث كان يوضع النساء والأطفال من جهة والرجال من جهة قبل أن يطبق إنتقاء من نوع آخر يخضع لاعتبارات سياسية وعسكرية حيث يفصل بين الرجال المدنيين وبين الميليشيات التي انتمت بأي شكل من الأشكال إلى القوات العسكرية للجمهوريين.

كما خضع هذا التوزيع لاعتبارات أخرى نستشفها من الرسالة التي بعث بها والي وهران إلى نظيره بالعاصمة بتاريخ 14 أفريل 1939م يعلمه فيها بضرورة نقل 4265 لاجئ إسباني من مدينة وهران إلى المخيمات بإقليم الجزائر والحجة المذكورة هي أن 80 بالمائة من سكان وهران من أصل إسباني[12]، وهذا ما يفسر أن كل مخيمات مدينة وهران كانت مؤقتة بسبب القلق الذي كان يسببه هؤلاء اللاجئين للسلطات الفرنسية وهم بالقرب من التجمعات السكانية بالمدينة.

حيث تجب الإشارة من باب التخوف من السكان والأهالي بصفة خاصة لأن هناك خلفيات لذلك تعود الى مرحلة الحرب الاهلية ذاتها، ففي رسالة لمحافظ شرطة بلدية الحراش (ميزون كاري) تحمل رقم 1886 إلى والي الجزائر بتاريخ 14 نوفمبر1936تضمنت خبر عقد

اجتماع برعاية الحزب الشيوعي والرابطة الدولية للمحاربين من أجل السلام بقاعة سينما الايلدورادو حول موضوع ما شاهده Peignand وهو أستاذ بثانوية الجزائر العاصمة في إسبانيا خلال إقامته بها طيلة شهر ونصف وحضر المحاضرة نحو600 شخص من بينهم 50 من الاهالي.[15]

ويفيد تقرير مماثل من نفس محافظة الشرطة بالحراش ــ ميزون كاري ــ رقم 110 بتاريخ 16 يناير1937 والموجه إلى والي الجزائر العاصمة يعلمه فيه باجتماع جرى بسينما L'Eldorado من قبل اللجنة المساندة للشعب الاسباني المناهض للفاشية (الجمهوري)، ولقد حضر الاجتماع 250 شخص من بينهم نحو 40 من الأهالي. وهذا يعني أن تخوف الأسبان هناك ما يبرره، كما يبين في الوقت ذاته بان الأهالي كانوا على دراية بما يدور على الساحة السياسية الدولية بل ويشارك في تلك المتغيرات والمستجدات لأخذ الدروس والعبر[16].

وكانت المخيمات التي أقيمت في منطقة الشلف كما يلي:

1.2: مخيم Carnot(العبادية حاليا): يقع هذا المخيم على بعد نحو 35 كلم إلى الشرق من مدينة Orléansville (الشلف حاليا) فتح في شهر مارس 1939 وهو عبارة عن بناءات جاهزة كانت قد خصصت للأهالي بعد الزلزال الذي ضرب المدينة بتاريخ 7 نوفمبر 1934، كان يحوي المخيم 70 عائلة منها عائلة ميغال مارتيناز لوباز أي 262 شخص.[15]

يسير المركز وفق نظام عسكري، فهو محاط بسياج ويحرسه سنغاليون مسلحون ويبدأ اليوم على غرار الثكنات العسكرية برفع العلم وتوزيع مختلف الأشغال على اللاجئين التي كانت في الغالب عبارة عن أشغال تنظيف وصيانة.

توزع وجبتي الغذاء مرتين في اليوم من قبل أهالي في عربة تجرها خيول والمتمثل في حساء الرانشو(Rancho) الأكلة الوحيدة في المخيم رغم عدم شعبيتها.[17]

في المساء ينزل العلم بحضور الجميع ثم إطفاء الإنارة متبوع بسكوت إجباري. وهذه الطقوس العسكرية كانت بهدف تحضير اللاجئين إلى الاندماج و الذوبان في الشخصية الفرنسية حيث يقول ميغال في كتابه ص 28« إن تعلم الفرنسية كان واجبا جديدا يريدون فرضه علينا مهما كان الثمن... إن ذلك كان أساسيا لتمكيننا من الاندماج في المجتمع الفرنسي» والمكافئة كانت بالسماح للبعض بالخروج من المركز لمدة 24 ساعة تسمح لهم في الغالب بزيارة مدينة العطاف المجاورة.[18]

ولكسر الجمود كانت تتحول إحدى الغرف إلى مركز ثقافي للتواصل مع الثقافة الاسبانية والأوضاع السياسية في البلاد والتحضير للعودة المحتملة.

يضاف إلى هذه المعطيات معطيات أخرى مصدرها اللجنة الدولية التي زارت مخيمات اللاجئين الأسبان بالجزائر ومنها أورليانفيل في شهر ماي 1939، ولقد جاء بشأن مخيم كارنو ما يلي: في كرنوا تم تجميع 340 شخص رجال، نساء وأطفال يشكلون 70 أسرة.

إنهم يسكنون في منازل جيدة من الخشب تشبه إلى حد بعيد أحياء عمال المناجم في الشمال. لا يوجد أي أثر للأسلاك الشائكة ولا لحواجز تفصل المخيم عن القرية المجاورة التي تتواجد على مسافة 800م.

يسهر دركيون على المحافظة على النظام العام وعلى تطبيق تسهيلات جد متساهلة سمحت لنساء وفتيات من المخيم من الذهاب للعمل في القرية كخياطات. إن هذه الحالة يضيف التقرير، هي الطريقة المثلى للانتظار، كما أن هناك إستمرارية في تجميع العائلات المتفرقة في مخيمات أخرى، كما فتحت مدرسة في المخيم حيث بات الطلب كثيرا على الكتب الفرنسية والجرائد، كما أن حالة الجميع الصحية جيدة ويسهر الطبيب اللاجئ ميغال بيراز مارتيناز على متابعة علاج اللاجئين.[19]

إن هذه العائلات المجمعة في هذا المخيم تعطي انطباعا عن راحة بال إلا أن السؤال الذي يراود الجميع هو: ما هو مصيرنا؟

2. 2 : مخيم بني هندل: أقيم هذا المخيم إلى الجنوب من ولاية **Orléansville** (الشلف حاليا) بالقرب من جبال الونشريس في الخامس من ماي خصص لاستقبال النساء والأطفال فقط في خيام تحت حراسة فرقة من الدرك في برد الشتاء القارص. كان حراس المخيم الفرنسيين يتلقون من بعض الأوربيين ومن الصليب الأحمر مساعدات لصالح اللاجئين إلا أن هؤلاء كانوا يبيعونها للأهالي في الأسواق[20].

2 .3: موليار بـ Orléansville: كان يضم الأطفال والنساء فقط في مستودعين للحصاد، وإن كانت الظروف المادية صعبة إلا أن المعاملة كانت حسنة كما جاء على لسان شهود عيان وحراسة الشرطة قليلة والخروج إلى المدينة خلال ساعات كان مسموح به.

باستثناء بعض حالات اللاجئين التي سويت إداريا من الذين كانوا خارج المخيمات كعائلة نافارو مارتيناز منها الابن ميغال الذي تحصل على الجنسية الفرنسية مسبقا فان معظم المحجوزين

في المخيمات تأخرت تسوية وضعيتهم الإدارية لأن السلطات الفرنسية كانت تأمل رحيلهم عن الجزائر. إن رسالة الشكر التي بعث بها مدير مخيم شرشال إلى والي الجزائر بتاريخ 7 مارس 1940 حالة إستثنائية وخاصة لأنها تضمنت عبارات شكر بسبب الإجراء الإداري رقم 515 بتاريخ 7 فبراير 1940م من طرف وزير الداخلية الذي بموجبه منح حق اللجوء السياسي للاجئي المخيم.

إن هذه الرسالة جاءت مرفقة بالعريضة التي كان قد أرسلها لاجئو المخيم إلى السلطات المعنية وقد تكون تلك العريضة الوحيدة التي استلمتها السلطات الفرنسية لان المبرر الثقافي لتلك التسوية الإدارية باطل بحكم أن معظم المخيمات كانت تضم كوادر وإطارات الجمهورية الاسبانية.

4.2: مخيم ثكنة بارتازان: هو عبارة عن ثكنة عسكرية شاغرة تقع في وسط مدينة أورليانفيل (نقل إليه ركاب الرونوين من الرجال مؤقتا يوم 16 مارس من ميناء تنس وعددهم 299، وقبل ذلك كانت قد نقلت النساء والأطفال إلى مخيم كارنو. وهو عبارة عن ثكنة قديمة وسط مدينة أورليانفيل. قسم اللاجئون إلى أفواج مرقمةكل فوج يضم عشرة لاجئين. وكان أول لاجئ دفن في أورليانفيل هو كوستا الذي توفي يوم 17 مارس، وسمحت الإدارة لبعض اللاجئين بالخروج لدفنه، كما دخل مستشفى المدينة آخرون نظرا للبرد الشديد.

وصلت إلى المخيم دفعة أخرى من اللاجئين 43 من فالنسيا و86 من آليكانت قبل مجزرة 13 أفريل التي وقعت على أرصفة آليكانت وراح ضحيتها 1400 شخص ممن لم يتمكنوا من العثور على سفينة النجاة.(21)

زارت المخيم لجنة دولية بتاريخ 19 أفريل، وسمحت بخروج بعض اللاجئين ممن تتوفر فيهم بعض الشروط، كما رشح عدد آخر للذهاب إلى المكسيك بعد إلحاح منهم قبل أن ينقل الباقي إلى مخيمي بوغار وبوغاري بالمدية، حيث نقلت أول دفعة إليهما يوم 23 أفريل، وبقي مائة لاجئ بالمخيم إلى أن وصلت لجنة ثانية من الضباط هذه المرة لتنظيم نقل العدد الباقي.

3: شروط الخروج من المخيمات العائلية:

بإمكان اللاجئين مغادرة المخيمات التي تعتبر مراكز للإيواء في ثلاث حالات:

*- امتلاك اللاجئ لمبلغ مالي كافي يمكنه من الإقامة في المدن من خلال الاستئجار في الفنادق. قد ينطبق ذلك فقط على مخيمات التجمع العائلي، ولضمان مراقبة هؤلاء تمنح لهم رخص الإقامة تتجدد كل شهر.

*- إظهار وثائق تثبت وجود علاقات قرابة مع أحد المقيمين الدائمين في الجزائر بشرط قدرته المالية على تحمل نفقات اللاجئ مع إلزامية الحضور مرة في الأسبوع إلى محافظة الشرطة الكائنة في محل الإقامة وفق مضمون رسالة والي الجزائر بتاريخ 24 مارس 1939 الى الولاة.[22]

*-حصول أحد اللاجئين على عقد عمل خارج المخيم كذلك الذي تحصل عليه مارتيناز نافارو بتاريخ 2 افريل 1940م من "اورفيلا جون" صاحب قاعة حلاقة بأورليانفيل، هذا الإجراء الإداري لا ينطبق على مخيمات المدية والصحراء.

إن تطبيق السلطات الفرنسية لهذه الشروط الثلاث كان يعني أن عددا من اللاجئين الأسبان كانوا خارج المخيمات.

بالإضافة إلى مخيمات خاصة بالجيش الجمهوري كانت بالمدية، ومخيمات أخرى للعناصر الخطيرة من القوات، وبخاصة في الجلفة وعين مقل وجنان بورزق بين عين الصفراء وبشار، ومخيم حجرة مقل قرب جبال عمور بين عين الصفراء وبني ونيف، ومخيم بشار...

4. مغادرة اللاجئين لمنطقة الشلف: لقد تحصلت السلطات الفرنسية وفق التقرير ذاته، على إعتراف من قبل اللاجئين الأسبان ممن كانوا في مخيمات أورليانفيل (وسط المدينة) بأنه وإن كان لدى عدد كبير منهم تأشيرات نحو دول أمريكا الجنوبية إلا أن ثلثين منهم لا يرغبون في السفر لا إلى نيكاراغوا ولا إلى المكسيك، لأن وجهتهم المفضلة كانت فرنسا، وبما أن التأشيرات الفرنسية كان يصعب الحصول عليها اضطرّوا إلى طلب تأشيرات العبور عبر فرنسا، وبخاصة عندما بات خطر القوات الوطنية تهددهم بالقصف برا وجوا وبحرا، ولذلك لم يكن السفر إلى بعض دول أمريكا الجنوبية إلا حجة فحسب.

أما الثلث الباقي من هؤلاء اللاجئين فكانت لديهم فعلا نية السفر إلى أمريكا إلا أن جزءا يسيرا منهم فقط كان يملك الإمكانيات المادية لذلك.

كما أن الإدارة الفرنسية تلقت عدد كبير من طلبات من أفراد مقيمين بالجزائر هناك من يقيم بأورليانفيل، والأغلبية جاءوا من وهران والجزائر العاصمة وغيرهما من أمهات وآباء وأصدقاء لهؤلاء اللاجئين يلتمسون إمكانية إخلاء سبيل ذويهم من المراكز.

وحتى الإدارة الفرنسية حسب التقارير الواردة من سلطات أورليانفيل طلبت بإخلاء سبيل كل اللاجئين بسبب ارتفاع تكاليف تجميعهم في تلك المخيمات حيث تفيد ذات التقارير إلى أن احتياجات 700 لاجئ تكلف الخزينة يوميا مبلغ 5250 فرنك أي 157500 فرنك شهريا.

ومع كل ذلك كان عدد الذين أخلي سبيلهم قليل قبل نهاية 1942م بسبب خوف الإدارة الاستعمارية من احتكاك هؤلاء اللاجئين بسكان الجزائر من الأهالي، بخاصة وأن فرنسا كانت تعيش ظروفا سياسية استثنائية تحت سلطة الحكم النازي.

لم يبق كل اللاجئين الأسبان في منطقة الشلف بل غادروها مباشرة بعد الإنزال الأمريكي في الجزائر والشلف بالخصوص.

لقد قامت السلطات الفرنسية بسبب الظروف الدولية بحملة إعلامية واسعة لدى اللاجئين الأسبان في الجزائر لدفعهم إلى العودة حسبما تؤكده بعض المراسلات الرسمية قبل بداية الحرب العالمية الثانية وأثناءها.

تضمنت الرسالة التي بعث بها وزير الداخلية الفرنسي إلى الولاة مايلي: "إن حالة الحرب من جهة والحاجة إلى إيواء السكان الفرنسيين المرحلين من جهة أخرى يجعل عودة أكبر عدد ممكن من اللاجئين الأسبان إلى بلادهم أمر مرغوب فيه أكثر من أي وقت مضى، وبخاصة العناصر التي لا يمكنها أن تقدم إلى الاقتصاد الفرنسي أي مجهود". (23)

شجعت السلطات الاسبانية الجديدة كذلك هذا المسعى من خلال السفير الاسباني في باريس بقوله:"كل اسباني ذا ضمير صافي وماضي نزيه له مكانه في إسبانيا للعمل من أجل تحسين وإصلاح مآسي الحرب". (24)

إن هذه الدعوة الفرنسية الاسبانية التي كانت قبل بداية الحرب العالمية وأثناءها لم تلق القبول المطلوب في أوساط اللاجئين الأسبان في الجزائر حسبما تؤكده الرسالة التي بعث بها والي المدية إلى والي الجزائر في شهر أوت 1939م حيث ذكر أنه من أصل 2930 لاجئ اقترحت عليهم فكرة العودة تحمس 19 منهم فقط لها،كما لم يلب تلك الدعوة من ولاية Orléansville (الشلف) سوى 18 شخصا، ونفس الموقف اتخذه اللاجئون المقيمون لدى الخواص وهم حوالي 441 فردا.

قد يفسر هذا العدد القليل من الراغبين في العودة إلى اسبانيا بتورط الكثير منهم إلى درجة كبيرة في المأساة الاسبانية، بحيث لم يعد إلى اسبانيا سوى 160 شخص بين أوت 1939م وديسمبر 1940م.

من الذين تحمسوا لفكرة أمريكا الجنوبية 62 لاجئ في مخيم شرشال من أصل 371، و118 شخص من مخيم بن شيكو الواقع شمال البرواقية بالمدية من أصل 132 كما قبل العرض 28 لاجئ من مخيم Carnot (العبادية) بـ Orléansville (الشلف). رغم ان التقارير الأمنية 1F/63 أشارت إلى أنه من بين اللاجئين الذين وفدوا إلى أورليانفيل كان 53 شخصا بحوزتهم تأشيرات إلى نيكاراغوا، 23 حاملين لتأشيرات كوبية و9 من المكسيك، ومن دون شك كان عزوف الكثيرين على مغادرة الجزائر نحو أمريكا اللاتينية مرده إلى صعوبات مادية بالدرجة الأولى.

5- موقف الأهالي من اللاجئين: هناك تقارير كثيرة صادرة عن الإدارة المحلية لأورليانفيل تفيد بأنها تلقت من مناضلي اليسار وأقصى اليسار مساعدات كثيرة لفائدة هؤلاء اللاجئين خلال عدة أيام فقط أكثر مما كانت تجمعه لمصلحة الأهالي خلال عدة سنوات.

كما يشير ذات التقرير إلى أن هناك عناصر فرنسية من بينهم Mertoreal وهو مراسل جريدتي La Dépêche Algérienne و la Flamme التابعة للحزب الاشتراكي الفرنسي والذي كتب مقالا في عدد 15 أفريل يندد فيه بالحرية التي بات يتمتع بها هؤلاء اللاجئين، في إشارة إلى إمكانية وجود إحتكاك مع الرعايا من الأهالي الأمر الذي يشكل بطبيعة الحال خطرا على مصلحة فرنسا.

كما أرسل تقرير من حكام الأقاليم إلى الجهات المعنية تشير فيه إلى سلبيات بقاء هؤلاء اللاجئين في المدن حيث للاتصال سهل مع السكان ولذلك يقترح تحويل الرجال فقط إلى مخيم بوغار بالمدية.

وما يؤكد هذه المخاوف الرسالة رقم 3695 الموجهة من وزير الدفاع Sarraut إلى حكام المقاطعات بالجزائر بتاريخ 30 أفريل 1939م يعلمهم فيها بأنه درس اقتراحات بعض الولاة فيما يتعلق بضرورة إبعاد اللاجئين الأسبان عن السكان، ولهذا الغرض قررت تخصيص ميزانية إضافية لبناء مخيمات من البناء الجاهز خارج المناطق الآهلة لاستقبال هؤلاء اللاجئين عند الضرورة، وكان المبلغ المخصص لذلك الغرض هو 2500 فرنك لكل 100 لاجئ حسب

التكلفة التي تطلبتها تجهيزات مماثلة أقيمت بفرنسا لنفس الغرض، وأرفقت الرسالة بدعوة إلى مباشرة الأشغال مباشرة ودون توقف، وبالموازاة مع ذلك طلب الوزير بدراسة كل طلبات العودة المقدمة من اللاجئين باتجاه اسبانيا بكل سرعة، إلا أنها كانت شبه منعدمة.[25]

فالأهالي لم يصدر عنهم أي موقف رسمي من خلال الأحزاب السياسية أو غير رسمي من خلال الأعيان ما عدا بعض المواقف لأشخاص من الأهالي من عامة الشعب أشار إليها مارتيناز لوباز[26] في كتابه حينما كان في مدينة أورليانفيل ثم الجزائر العاصمة فيما بعد.

وهو يذكر في كتابه ذكريات طفولته في مدينة أورليانفيل ثم العبادية (كارنو) والعطاف وأورليانفيل من جديد، كما أن فرحة ميغال مارتيناز لوباز باقتراب العودة إلى إسبانيا وهو يرى المدرعات الأمريكية في الشارع الرئيسي لمدينة **Orléansville** (الشلف) سنة **1942**م- وهم في طريقهم إلى أوربا لتخليصها من النازية- لم يكن سوى حلما.

قبل أن يغادر المدينة باتجاه العاصمة حيث سيبقى بها إلى غاية **1965** بعدما كان معلما لتلاميذ الجزائر المستقلة بإحدى مدارس العاصمة.

الهوامش:

1- العربي بلعزوز، اللاجئون الاسبان الى الجزائر بين **1939-1962**، رسالة ماجستير من جامعة الجزائر **2008**.(تحت الطبع).

2- *ANOM. 1F/63*

3- هي مدن اسبانية ساحلية هامة تقع في الشرق و الجنوب الشرقي للبلاد على البحر المتوسط، تقابلها في الضفة المقابلة السواحل الجزائرية، واقرب هذه المدن إلى وهران هي قرطاجنة نحو (300 كلم) و أبعدها هي فالانسيا بنحو(700 كلم).

4- Centre National d'Archives :IBA / RAP-006 N :586.

5-Alfred Salinas Quand Franco réclamait Oran: l'opération Cisneros, Editions ... 1998, page 161.

6 - Centre National d'Archives : op-cit

7- ANOM. 1F/410

8-Martinez Lopez Miguel : Casbah d'Oubli, L'exil des Réfugiés Politique Espagnols en Algérie (1939-1962), Graveurs de Mémoire,Ed L'Harmattan,Paris 2004, p 159

9- سفينة تمتلكها مؤسسة **Sthandope** التي مقرها في لندن، و كان حسب الاستجواب الذي خضع له ربان السفينة من قبل المصالح المعنية بميناء تنس تحت تصرف اسبانيا الجمهورية منذ **19** شهرا بحكم الاتفاقية الموقعة مع الوكالة البحرية الرسمية **Campsa**، و كانت ذات السفينة قد نقلت حمولة من السميد من مدينة **Cette** الى مدينة فالانس و بطلب من وكالة كامبسا . تم نقلت هؤلاء اللاجئين بالجان الى الموانئ الجزائرية لأن أغلبهم كان حاملا لتراخيص من القنصل الفرنسي في فالانس.

10- **19** منهم فقط كان حاملا لجواز سفر، كما احتجز بمارك تنس لديهم **15**مسدسا و **5**بنادق و عدة خزانات رصاص اما بقية السلاح فعلم انهم رموا بها في البحر.

11- قائد قوات الجمهوريين، و هو بدوره لجأ الى الجزائر العاصمة بعد ا نرسى بميناءها سنة **1939**

12- Peschanski Denis : Une Politique d'Exception en Situation d'Exception, Première partie (1938-1940).Novembre 2000.p15.

13 -Martinez Lopez Miguel : op-cit, p 160.

.- ANOM. 1F/6314

15 - ANOM. Ibid.

16-Martinez Lopez Miguel : op-cit, p 162.

17- ANOM. G.G.A L//2

18 - *ibid.*

19- *DEUX MISSIONS INTERNATIONALEES VISITENT LES CAMPS DE REFUGIES ESPAGNOLS MAI (1939) ; EDITE PAR LE COMITE INTERNATIONAL DE COORDINATION ET D'INFORMATION POUR L'AIDE A L'Espagne REPUBLICAINE .PARIS. s.d*

20-*Martinez Lopez Miguel : op-cit, p 167.*

21- *KATEB Kamel : « Les Emigrés Espagnols Dans Les Camps en Algérie (1939-1941) », Annales de Démographie Historique 2007 n :1.*

22- تم رفض مئات الطلبات إما لعدم وجود قرابة بعد التأكد من ذلك اثر تحقيق، أو لكون أصحاب الطلبات مناضلون شيوعيون، مشبوهون، او فوضويون ثوريون خطيرون من قوات الألوية العالمية (الدولية).

23- *Miguel Martinez Lopez :op.cit.,p 173*

24- *op.cit.,p 176 -23*

25- *ANOM. 1F/63*

26- ميغال مارتيناز لوباز ولد بمدينة فالانس الاسبانية يوم 29 أكتوبر 1931، في مارس 1939 وصل إلى وهران كلاجئ مع والديه وأخته، قبل ان ينقل الى أورليانفيل حيث وضع في مخيم كارنو العبا دية حاليا بالشلف.اشتغل بالتعليم في الجزائر في الخمسينات بعد تحصله على الجنسية الفرنسية،كما واصل التدريس بالجزائر المستقلة إلى غاية 1965 في إطار التعاون الجزائري الفرنسي يقيم حاليا في الجنوب الغربي لفرنسا.